دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الجملة المؤكدة في الربع الثلث من القرآن الكريم : دراسة نحوية تطبيقية
المؤلف الرئيسي:	الزاكي، هالة التجاني النور
مؤلفين آخرين:	أبو بكر، مصطفى محمد الفكي(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2001
موقع:	أم درمان
الصفحات:	أ - د ، 1 - 163
رقم MD:	661478
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة أم درمان الاسلامية
الكلية:	كلية اللغة العربية
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	القرآن الكريم ، الاعجاز اللغوي، النحو
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/661478

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

جـــامعة أم درمان الإســـلامية
كلية الدراســـات العليا
كليـــة اللغة العربيـــة
قسم الدراســـات النحوية واللغوية

الجمـــلة المؤكَّدة في الربع الثالث من القرآن الكريم

دراسة نحوية تطبيقية

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالبة:
هالـة التجـاني النور الزاكـي
إشراف الدكتور:
مصطفى ملاسر الفكي أبو بكر

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر

في البدء والختام أشكر الله الكريم
الذي يسر لي هذا العمل وأعانني على الصبر
عليه
وسخر لي كثيراً من الأسباب لنجاحه وإتمامه
على هذا الوجه

إهـــــداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى والدي وإلى جدي وروح جدتي أكرم الله مثواها، وإلى الأسرة ،،،

مُقَدِّمَة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام علي الرسول الأمي، الذي أعطي جوامع الكلم والبيان، وعلي آله وصحبه الكرام، كما يحب سبحانه وتعالي ويرضي....

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وانت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً ... اللهم بك الاستعانة وعليك التوكل ، اللهم اجعل هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم .

وبعد..

فإن الاهتمام بدراسة القرآن الكريم، كلام الله العظيم، نصوصه وألفاظه، أدواته وأساليبه، إنما هو نابع من سمو منزلته ورفعتها، ورصانة الفاظه وجزالتها، وقوة أساليبه،كما انه يعد من اهم المصادر في معرفة اللغة العربية.

وقد امتدت الدراسات النحوية واللغوية والصرفية والبلاغية للنصوص القرآنية حتى عصرنا هذا، لذلك كانت رغبتي أكيدة في ان أطبق موضوعي في النص القرآني، وراق لي ان اتناول الجملة المؤكّدة في الربع الثالث من كتاب الله الكريم والذي يبدأ من سورة الكهف إلى سورة الصافات، واخترت الجملة المؤكدة لما للتوكيد من قوة في أداء المعنى ، وقد وجدت ان أكثر ما يواجه الباحث صعوبة هو حصر الأساليب المؤكدة للكلام، وكذلك الأدوات ، فكثير من الأساليب العربية يجوز ان تكون مؤكدةً للكلام ، كاسلوب النفي والأستفهام والاستثناء والقصر والإطناب والمبالغة والمطابقة والتذييل ... فمن مقتضى الحال فقط، يمكنك ان تحكم إن كان هذا الأسلوب ، أو ذاك، ورد من أجل التاكيد، أم للغرض الذي من أجله وضع.

وكذلك الأدوات، فكلها يجوز ان تكون مؤكدة وذلك إن وردت زائدة كما قال ابن جني: كل حرف زيد في كلام العرب، فهو قائم مقام إعادة الجملة مرة اخرى... فلهذه الأسباب جاء اختياري لهذا الموضوع.

وتكمن اهداف البحث واهميته في عدة نقاط أذكرها:

١/ الوقوف على كيفية التطبيق في الربع الثالث من القرآن الكريم .

٢/ بيان اهمية الدراسة التركيبية في أساليب التوكيد.

٣/ بيان اسلوب القرآن الكريم في الربع الثالث في توكيد المعني وتقويته بادوات التوكيد وفقاً لمتطلبات السياق.

٤/ الوقوف على الدور الذي تؤديه أدوات التوكيد عند دخولها على الجملة الأسمية والفعلية .

٥/ الوقوف على إسهامات علماء اللغة العربية في تناول جوانب الجملة المؤكدة.

وقد اتبعت في هذا البحث ، المنهج الإحصائي الوصفي ،فقد قمت باستقصاء شامل ، وإحصاء كامل لكل الأدوات والأساليب المؤكدة للجملة الواردة في الربع الثالث من كتاب الله.

أما الخطة المتبعة، فقد قمت بتقسيم هذا البحث إلى ثلاثة فصول، يسبقها تمهيد ومقدمة وتلحقها خاتمة. أما المقدمة، فقد ذكرت فيها أسباب اختيار الموضوع وأهميته ومنهجه والخطة التي سار عليها البحث.

وتحدثت في التمهيد عن مفهوم الجملة في اللغة وفي اصطلاح النحاة وعلماء البلاغة وأهميتها في اللغة العربية. وكذلك تناولت مفهوم التوكيد لغة واصطلاحاً واهتمام العلماء بتقصيه في كلام العرب.

أما الفصل الأول فخصصته للجمل الاسمية المؤكدة، وتناولت فيه أسلوب التقديم ودلالته على توكيد الجملة الاسمية، والأدوات المختصة بتوكيد الجملة الاسمية.. وفي الفصل الثاني تحدثت عن أسلوب القسم، وأنه من الأساليب المؤكدة للكلام، وقد استخدمه العرب كثيراً. وأن القسم أصله جملة فعلية، إذ المقدر فيه في جميع مواضعه اقسم بالله. أما الفصل الثالث والأخير فتناولت فيه التوكيدين اللفظي والمعنوي ودلالة ضمير الفصل على التأكيد وأسلوبي المدح والذم، وكلها تعد من الأساليب المعنوية المؤكدة للكلام.

ثم ختمت هذا البحث بالخاتمة التي أجملت فيها ما انتشر في هذا البحث، وذكرت ما توصل إليه البحث من نتائج وتوصيات، ثم الفهارس الموضحة لما ورد في البحث.

ولقد استعنت في هذا البحث بجملة مصادر ومراجع أفادتني كثيراً، فكان القرآن الكريم هو النص الموثق الذي أخذت منه الأساليب والأدوات المؤكدة والتي جرى عليها التطبيق. ثم من علماء اللغة والنحو الأجلاء أمثال السيوطي وأبي حيان وابن يعيش والمبرد وسيبويه أستاذهم والمعلم. وكبار المفسرين كالزمخشري والعكبري والقرطبي وغيرهم ممن أخذت من كتبهم.

وبعد فإني أتقدم بالشكر أجزله والتقدير أجله وأعظمه للدكتور الجليل/ مصطفى محمد الفكي أبوبكر، وأشكر له نصحه وصبره على أخطائي وهفواتي، فجزاه الله عني وعن جميع طلابه وطالباته خير الجزاء.

الشكر الجزيل أيضاً لأخواتي الأستاذات بكلية اللغة العربية لما قدمنه لي من حث وإرشاد كان له كبير الأثر، ولأخواتي وزميلاتي بمكتب الشؤون العلمية.

والشكر أيضاً لإدارة مكتبتي جامعة القرآن الكريم وجامعة ام درمان الإسلامية اللتين لم تحوجاني لمكتبة ثالثة لإحتوائهما على أهم ومعظم المصادر والمراجع، فبارك الله في كل من ساهم في جمعها وترتيبها وتوزيعها، وبارك الله في كل من ساهم في إثراء المكتبتين.

ولا أنسى الفضل العظيم لشركة الماوردي للدراسات والبحوث والترجمة، ولأخي الكريم محمد وما بذله من جهد عظيم في سبيل طباعة هذا البحث فله مني كل شكر وتقدير وعرفان.

تمهيد

مفهوما الجملة والتوكيد:

تعريف الجملة في اللغة والاصطلاح

تهدف الدراسة اللغوية إلى غاية مهمة هذه الغاية هي فهم بناء الجملة، أي فهم طريقة تأليفها، وتركيبها، والعلاقة بين أجزائها ، بحيث يؤدى ذلك كله،إلى فهم المعنى الذي تحمله الجملة ، ويراد إبلاغه للمستمع .فما الجملة ؟!

جاء في القاموس المحيط: " استجمل البعير إذا صار جملاً"[1] . وقال ابن منظور في لسان العرب: (الجمّل بتشديد الميم يعنى الحبال المجموعة فأما الجمل بالتخفيف فهو الحبل الغليظ والجمل الجماعة من الناس، ولعل الجملة اشتقت من جملة الحبل وجَمل الشيء جمعه .. والجملة جماعة الشيء، والجملة واحدة الجمل وأجمل الشيء جمعه عن تفرقه. وأجمل له الحساب كذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾[2].)[3]

وفائدة الجملة،أو معناها، إنما يكون في تعليق ألفاظها، وكلماتها، بعضها ببعض، ويتم ذلك من خلال معرفة الألفاظ، ومعرفة تركيبها،ومعرفة الألفاظ وحدها لاتغنى صاحبها في تأليف الكلام، بل لابد له من معرفة كيفية نظم هذه الكلمات وتركيبها.

ولا يصح أن يغيب عن البال مطلقاً، أثناء التحليل النحوي، ترابط جانبي النحو والدلالة، فهما وجهان للجملة والغاية من التحليل النحوي، فهم الجملة دلالياً أو المساعدة على ذلك، ولا يمكن فهم الجملة من غير فهم تراكيبها، أي نحوها وكذلك لا يمكن تحليل جمله نحوية من غير فهم دلالتها، فكلا الجانبين معين على فهم الآخر.

---

(1) الفيروز أبادي مجي الدين محمد بن يعقوب-القاموس المحيط _دار الجيل المؤسسة العربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت-لبنان ج ٣ ص ٣٦١ فصل الجيم باب اللام.

(2) سورة الفرقان الآية رقم ٣٢.

(3) ابن منظور الإمام العالم العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (٦٣٠-٧١١هـ) - لسان العرب اعتنى بتصحيحه محمد عبد الوهاب - محمد الصادق العبيدي - دار إحياء التراث العربي ط ١- ١٤١٦هـ -١٩٩٦م بيروت لبنان - ج ٢ ص ٣٦١ مادة جمل فصل الجيم حرف اللام.

ولذلـــك جاء اهتمام علماء العربية من نحاة، وبلاغيين ،ولغويين بهذه اللغة العظـــيمة الشـــريفة فوهبوها أنفسهم واهتموا بها منذ مخرجها صوتاً له معناه، ثم حرفاً له دلالته ثم كلمة وجملة وكلاماً.

الجملة عند علماء البلاغة

جاء اهتمام علماء البلاغة بالجملة في المسند والمسند إليه، وأحوالهما، ثم جعلوا ذلك في جملتين كبيرتين هما: الجملة الإنشائية، والتي غرضها الابتداء والإنشاء والإبداع[1]، كأساليب الاستفهام ،والشرط، والتمني..وغيرها.

والجملة الخبرية ،وهى كل كلام يصح فيه الصدق و الكذب، كقولك: ولد المصطفى عليه الصلاة والسلام في يوم الاثنين في الثاني عشر من ربيع الأول. فإن كانت الحقائق المذكورة في هذا الكلام صحيحة كان هذا خبراً صادقاً وإلا فهو خبر كاذب .

والمسند، هو :الفعل الذي له فاعل،في نحو: قام عبد الله. وهو الخبر في نحو:الصدق نجاة. وهو الفعل المجهول في نحو: قُتِلَ الكافر. أو ما اصله الخبر كخبر كان وإنَّ والمصدر .

والمسند إليه: هو الفاعل في نحو: قام عبد الله، وهو المبتدأ في: الصدق نجاة، وهو نائب الفاعل في نحو: قتل الكافر .

والمسند والمسند إليه تتبعهما الفضلة، وهى ما زاد عليهما من حال، أو صفة، أو تمييز، أو جار ومجرور أو مفعولات...

المسند والمسند إليه لهما أحكامهما التي درسها علماء البلاغة واهتموا بها كثيراً كحذف أحدهما وذكره، وتنكيره ، وتعريفه وتقديمه... [2] مما لا يسع له المجال هنا .

تقسيمات الجملة عند النحويين

ولا تخرج تقسيماتهم عن تقسيمات البلاغيين كثيراً، فالجملة عندهم نوعان: الجملة الاسمية وهي التي تبدأ بالاسم،والجملة الفعلية وهي التي تبدأ بالفعل.

---

[1] د.محمد أبو موسى أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر-دلالات التركيب دراسة بلاغية-ط١ ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م مكتبة وهبة القاهرة صفحة١٩٩.

[2] الخطيب القزويني-جلال الدين أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة سعد الدين أبي محمد عبد الرحمن القزويني ،الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) مختصر تلخيص المفتاح- دار الجيل-بيروت لبنان. الصفحات(٢٢ ٦١).

يقول ابن هشام:(والجملة عبارة عن الفعل وفاعله،كقام زيد، والمبتدأ والخبر كزيد قائم، وما كان بمنزلة أحدهما نحو أقائم الزيدان، وكان زيد قائماً وظننته قائماً)[1].

ومن حديثه نستنبط أن المتكلم إن قصد بحديثه الذات، أو المعنى بدأ حديثه بالاسم، كزيد قائم، و أقائم الزيدان، و أزيد منطلق ولعل عبد الله أبوك. بغض النظر عما تقدم على المسند والمسند إليه من حروف، فهي جملة اسمية.

وإن أراد المتكلم الحدث، بدأ بالفعل، ثم أسند إليه فاعله، كقام زيد، وضُرب اللص، وكان زيدٌ قائماً. وظننته قائماً، وهي جملة فعلية.

وزاد ابن هشام على الجملتين الاسمية والفعلية : الجملة الظرفية [2] وهي التي تبدأ بظرف، نحو: أ عندك عبد الله.

أو جار ومجرور، نحو: أفي الدار عبد الله. وذكر الزمخشري أن الجملة على أربعة أضرب فذكر الشرطية نحو: بكر إن تعطه يشكرك[3].

وعدهما غيرهما من العلماء بأصل وضعهما قبل دخول الجار والمجرور والظرف وأداة الشرط.

ومن تقسيمات الجملة أيضاً، هناك الجملة الكبرى، وهي الجملة الأسمية التي خبرها جملة.نحو قولنا:عبد الله رحل أبوه، وعبد الله أبوه قائم. وتسمى في المثال الأول جملة كبرى ذات وجهين، وفي المثال الثاني: جملة كبرى ذات وجه. والجملة الصغرى وهي الجملة المبنية على المبتدأ كالجملة المخبر بها في الأمثلة السابقة.

كذلك قسم علماء النحو الجملة إلى: جمل معربة،وجمل غير معربة، أي لا محل لها من الإعراب . فمثال المعربة ، جملة المبتدأ والخبر، و المفعولات والمجرورات.

---

[1] ابن هشام مغني اللبيب عن كتب الأعاريب . حققه وبوبه وفسر غامضه وعلق علا شروحه و أعرب جميع شواهده وضبطه بالشكل ح.الفاخوري بيروت - ط ١ ١٤١١هـ-١٩٩١م -دار الجيل. مج ٢ ص: ص: ٣٧٤.

[2] المرجع السابق نفسه ،ص: ٣٧٦.

[3] الزمخشري الأستاذ الإمام الأجل فخر خوارزم أبي القاسم محمود بن عمر المتوفى سنة ٥٣٨هـ- المفصل في علم العربية وبذيله كتاب المفضل في شرح أبيات المفصل، للسيد محمد بدر الدين أبي فراس النعساني الحلبي دار الجيل بيروت لبنان- ص: ٢٤.

أما غير المعربة، فهي الجمل التفسيرية ،والمعترضة بين شيئين والمستأنفة ، التي يفتتح بها النطق كالتي في أوائل السور أو المنقطعة عما قبلها نحو قولك : مات فلان، رحمه الله.

والكلام عن الجملة أقسامها، وأحكامها وأنواعها، كلام مستفيض لا يسعه المقام هنا، ولكن نأمل أن نكون قد ذكرنا ما يلزم والله المستعان.

التوكيد في اللغة والاصطلاح

بلـــغ العرب في جاهليتهم مرتبة رفيعة ودرجة قصوى في الفصاحة ، والبيان ، وأوتوا فضلاً كبيراً من القدرة على التعبير وصياغة الكلام على مختلف الأساليب ، وله شأن كبير في لغتهم لاهتمامهم بأحوال المخاطبين.

وإذا رجعنا إلى معاجم اللغة العربية لمعرفة معنى التوكيد ، نجد أن الفيروز أبادي في معجمه يقول (وكَدَ يَكِدُ وكوداً أقام وقَصَدَ وأصاب ، والوُكد (بالضم)، السعي والجُهد، والتوكيد أفصح من التأكيد)[1].

وجاء في العين :(وكَّدتُ العقد واليمين أي أوثقته والهمزة في العقد أجود)[2] وفي المصباح المنير (أكّدته تأكيداً فتأكّد ويقال على البدل وكّدته ومعناه التقوية)[3] وقال ابن منظور (يقال أوكدته وأكّدته إيكادا وبالواو أفصح أي شددت وتوكّد الأمر وتأكّد ونقول إذا عقدت فأكِّد وإذا حلفت فوكِّد)[4] وقال صاحب الصحاح : (والوكاد حبلٌ يشد به البقر عند الحلب)[5].

---

(1) الفيروز ابادي – القاموس المحيط ج ١ ص ٣٥٩. فصل الواو باب الدال.

(2) الفراهيدي – أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد – كتاب العين تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي . دار مكتبة الهلال ، ل ٥ ص ٣٩٥.

(3) العالم العلامة أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير دار العلم بيروت-لبنان ل٢،١ ج ١ ص١٧ كتاب الألف.

(4) ابن منظور لسان العرب ل٣ ص ٤٦٦ مادة وكد فصل الواو حرف الدال.

(5) الجوهري إسماعيل بن حماد – الصحاح في تاج اللغة وصحاح العربية تحقيق أحمد بن عبد الغفور عطار، توزيع الشركة اللبنانية للموسوعات العالمية-دار العلم للملايين-بيروت ط ١ القاهرة ١٣٧٦هـ --١٩٥٦م ج٢ ص ٥٥٣ باب الدال فصل الواو.

التوكيد عند البلاغيين

ونظراً لأهمية التوكيد في اللغة العربية ، قام علماء البلاغة بتقسيم الخبر إلى ثلاثة أضرب استناداً لحال المخاطب ، ونحسب أن هذا التقسيم كاف في الدلالة على سمو الأساليب العربية ودقتها في الإفادة، ومرونتها في التعبير، وحرصها على جمال اللفظ ، وبلاغة القول .

الضرب الأول من هذه الأضرب، هو أن يلقى الخبر إلى المخاطب الخالي الذهن منه، فيأتي الخبر خالياً من التوكيد وأدواته، وذلك كأن تقول: ولد المصطفى ﷺ في الثاني عشر من ربيع الأول. ويسمى الخبر هنا ابتدائياً.

والضرب الثاني للمخاطب المتردد المرتاب في صحة الخبر ووقوعه،فيلقى إليه الخبر مؤكداً بما يزيل عنه الشك والريبة ، فنقول مثلاً : قد ولد المصطفى ﷺ في الثاني عشر من ربيع الأول. ونحو: إن الصدق نجاة. ويسمى الخبر في هذا الضرب طلبيا .

أما الضرب الثالث فهو للمخاطب المنكر الجاحد لحدوث الخبر، فيؤكَّد له الخبر بحسب إنكاره وجحوده،كأن تقول :والله لقد ولد المصطفي ﷺ في الثاني عشر من ربيع الأول .أو تقول:إنَّ الصدق لنجاة و إنَّ الكذب لهلاك.

ويؤيد ما ذهب إليه علماء البلاغة قصة أبي العباس المبرد والكندي الشهيرة إذ قال الكندي لأبي العباس: إني أجد في كلام الناس حشواً ، فقال :وكيف ذلك ؟ قال: أجدهم يقولون: عبد الله قائم، ثم يقولون: إن عبد الله قائم، ثم يقولون: إن عبد الله لقائم. فالألفاظ متكررة والمعني واحد. فقال أبو العباس : بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فالأول إخبار عن قيامه، والثاني جواب عن سؤال،والثالث جواب عن إنكار منكر لقيامه، فقد تكررت الألفاظ لتكرار المعاني.

ومما ورد من ذلك في كتاب الله العزيز ،قوله تعالي: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ * قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ * قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [1].

---

[1] سورة يس -الآيات ١٣ ،١٤ ،١٥ ،١٦ ،١٧.

فأهل القرية عندما كذبوا المرسلين، بعث الله سبحانه وتعالي رسولاً ثالثاً فقال ثلاثتهم عليهم السلام : " إنَّا إليكم مرسلون " مؤكدين الخبر بأداة واحدة هي (إنَّ) .. ولما اشتطوا في تكذيبهم، أكد لهم الخبر بأكثر من أداة فقالوا "ربنا يعلم إنَّا إليكم لمرسلون" .فكان هناك قسم، وأداة، وحرف لمزيد من التوكيد.

كذلك اهتم علماء البلاغة بالجملة الاسمية، إذ أنها من مؤكدات الخبر، فهي تفيد التحقيق والثبات، ففي قوله تعالي: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[1]

قال صاحب تفسير التحرير والتنوير: (جيء بالجملة الاسمية للدلالة علي ثبات ذلك ودوامه، فيفيد التكرار المستمر، وهو أخص من التكرار المفاد بالفعل المضارع وآكد...) [2] .

ومن مؤكدات الخبر أيضاً عند البلاغيين؛ التقديم، كتقديم المسند، وتقديم المسند إليه، وتقديم متعلقات الفعل. وقد اهتم علماء البلاغة بأحوال المسند و المسند إليه كثيراً كما قلنا من قبل .تأمل رثاء الخنساء لأخيها صخر :

تبكي خناسُ فما تنفكُ ما عمرتْ ... لها عليه رنين وهي مفتارُ

تبكي خناسُ علي صخرٍ وحقَّ لها ... إذ رابها الدهرُ إن الدهرَ ضرَّار[3]

فهذا التكرار في ذكر المسند والمسند إليه والإطالة في الوصف أكَّد وأبان ما في نفس الخنساء من حزنٍ ولوعة علي فقد أخيها.

ومثله قول الفرزدق وهو يمدح زين العابدين علي بن الحسين لما أنكر هشام بن عبد الملك معرفته فقال :

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأتَهُ ... والبيتُ يعرفهُ والحلُّ والحرمُ

هذا ابن خيرِ عبادِ الله كلهمُ ... هذا التَقيُّ النقيُّ الظَّاهرُ العلَمُ

هذا ابن فاطمةَ إن كُنتَ جَاهلَهُ ... بجده أنبياءُ الله قد ختموا

ولَيس قولكَ من هذا بضائرهِ ... العُربُ تعرف من أنكرتَ والعجمُ[4]

---

[1] سورة.مريم -الآية ٦٢.

[2] ابن عاشور -محمد الطاهر -- تفسير التحرير والتنوير -دار سحنون للنشر والتوزيع-تونس ل٨ ج ١٦،١٧ . ص ١٣٨.

[3] ديوان الخنساء -- دار صادر للطباعة والنشر-بيروت -ط ١- ١٣٧٧هـ ١٩٥٨م ص ٤٧.

[4] ديوان الفرزدق- دار صادر بيروت ل٢ ص١٧٨.

فذكر المسند إليه (هذا) ، وتكراره أفاد تأكيد شهرة علي بن الحسين وشهرة مآثره. وما ورد من ذلك كثير في أشعار العرب. وكذلك نجد أساليب القصر والإطناب ،كلها تؤكد الجملة وتحققها.

ومثلما اهتم علماء البلاغة بالخبر عند مجيئه علي مقتضى الظاهر للإفادة ،كذلك اهتموا به وأجروه خلافاً لمقتضى الظاهر، لمزيد من الإفادة والتوكيد، فأنزلوا غير المتردد منزلة المتردد، والمنكر منزلة غير المنكر، ومما ورد من ذلك رواية بشار بن برد،وأنه كان يعرج إليه كل من أبو العلاء[1] وخلف الأحمر[2] فينشدهما، إلى أن أنشدهما يوماً قصيدته :

بكرا صاحبي قبل الهجير إن ذاك النجاح في التبكير[3]

فيحكي أن خلفاً الأحمر قال له : لو قلت يا أبا معاذ بدل (إن ذاك النجاح) بكرا فالنجاح كان أحسن!.

فقال بشار : إنما بنيتها إعرابية وحشية فقلت إن ذاك النجاح كما يقول الأعراب والبدويون ولو قلت بكراً فالنجاح كان هذا كلام المولدين ولا يشبه ذلك الكلام ولا يدخل في معنى القصيدة[4].

وإخراج الكلام على هذا النسق أمر يقتضيه المقام، فعندما تكون الجملة المتقدمة في سياق الكلام متضمنة ما يشير إليه الخبر ويلوح به، فإنها تثير في النفس المتلقية تشويقاً وتساؤلاً يجعلها تهفو لمعرفة الخبر، فيأتي عندها الخبر مؤكداً منزلاً المتلقي منزلة المتردد أو المنكر، فيزيل التساؤل.

وقد جاء من ذلك في كتاب الله الكريم الكثير مما لا يحصى، تأمل قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾[5] .

---

[1] أبو عمرو بن العلاء- علم مشهور في علم القراءة واللغة العربية، توفى سنة ٢٤٦هـ. أنظر ترجمته في نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري -ط [illegible] ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م ص ٣٠.

[2] خلف الأحمر البصري أبو محرز بن حيان، كان راوية ثقة علامة قال عنه الأخفش: لم أدرك أحداً أعلم بالشعر من خلف الأحمر والأصمعي.

[3] ديوان بشار بن برد- شرح حسين حسوني- دار الجيل [illegible] ١٤١٦هـ-١٩٩٦م. بيروت ص ٢٩٠.

[4] الخطيب القزويني -الإيضاح في علوم البلاغة [illegible] ص ٩٤.

[5] سورة المؤمنون الآية ١٥،١٦.

فأكد إثبات الموت بتأكيدين ، هما : (إن) المؤكدة واللام ، وإن كان الموت مما لا ينكر ، فأنزل بذلك المخاطبين منزلة المنكر للموت ، وأكد إثبات البعث بمؤكد واحد ، وهو مما ينكر . ومع ذلك جاء رادعاً زاجراً، وسوف نتعرض للمزيد من الأمثلة والتطبيقات في ثنايا البحث إن شاء الله .

التوكيد في مصطلح النحويين :-

أما التوكيد عند النحاة ، فله باب عندهم ، وله مفهوم خاص لديهم ، قال السيوطي: (وهو تابع يقصد به كون المتبوع على ظاهرة) [1].

وقال في شرح الأشموني: (التوكيد في الأصل مصدر ويسمى به التابع المخصوص)[2]، وجاء في تهذيب التوضيح: (هو تابع يذكر تقديراً لمتبوعه لرفع احتمال التجوز أو السهو)[3].

فيتفق جميع علماء النحو على أن التوكيد من التوابع، فما التوابع هذه؟! التابع هو لفظ متأخر دائماً في الكلام، متقيداً في إعرابه بإعراب اللفظ المتقدم عليه .

وهذا ما يقرره ابن يعيش ، فيقول: (التوابع هي الأسماء التي لا يمسها الإعراب إلا على سبيل التبع لغيرها)[4] .

والمتقدم يسمى المتبوع ، والتابع هو المتأخر دائماً وأبداً ، نحو قولك جاء الرجل الأمين، فالرجل متبوع ، والأمين هو التابع ، ويكون تابعاً له في كل الحالات الإعرابية التي يمر بها المتبوع، رفعاً ونصباً وجرّاً في الأسماء. وفتحاً وضمّاً وجزماً في الأفعال.

والتوابع هي كما وردت في كتب النحو : النعت، والتوكيد والعطف بقسميه (البيان والنسق) والبدل. وإن كان من الواجب اتفاق التابع والمتبوع في أنواع الإعراب

---

(1) السيوطي . جلال الدين – همع الهوامع في شرح جمع الجوامع – تحقيق وشرح د.عبد العال سالم مكرم أستاذ النحو بجامعة الكويت ودار البحوث العلمية –ج ٥ ص ١٩٧.

(2) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمى منهج السالك إلى ألفية ابن مالك ومعه كتاب واضح المسالك لترقيق منهج السالك لمحمد محي الدين عبد الحميد – مكتبة النهضة المصرية- ط ٣- ج ٤ ص ٣٤٧.

(3) أحمد المصطفى المراغي –المرحوم محمد سالم- تهذيب التوضيح المكتبة التجارية الكبرى- مصر ط ٣- ج ١ ص ٢٤٥.

(4) ابن يعيش موفق الدين يعيش علي بن يعيش النحوي المتوفي سنة ٦٤٣ هـ- شرح المفصل- إصدارة إدارة الطباعة المنيرية لصاحبها ومديرها محمد منير عبده الدمشقي- ج ٣ ص ٣٨.

فمن الواجب كذلك اختلافهما في سببه، فسببه في المتبـــوع قـــد يكـــون الابتدائيـــة، أو الفاعلية، أو غيرهما من الأسباب المؤدية إلى الرفع أو النصب أو الجر أو الجزم، أمـــا التابع فسببه واحد، هو التبعية فقط.

وقد قسم علماء النحو التوكيد إلى قسمين : قسم معنوي وله ألفـــاظ محصـــورة سنتعرض لها إن شاء الله بالتفصيل.وقسم لفظي يكون بتكرار اللفظ أو مرادفه.

وهنالك أساليب وطرق أخرى عدها النحاة من مؤكّدات الكلام وإن لم يدرجوهـا تحت باب التوكيد، مثل القسم، والاشتغال، وضمير الفصل، وأســـلوبي المـــدح والـــذم، والمصدر المؤكِّد، والحال المؤكِّدة، والحروف المؤكّدة، أمثـــال:إن، وأن، وقـــد وبـــل، والحروف الزائدة وغيرها.

ولابن الزملكاني، تعريف لطيف شامل لكل ما ذكرناه في التوكيد، يقول: (وهـو تقرير معنى لفظ سابق، وهو ضربان : الضرب، الذي نعرفه في كتب النحو، والضرب الثاني لكل لفظ تابع للفظ قبله، يغايره لفظا ويطابقه معنى لتقرير ما سبق وليس بتابع لـه في الإعراب، ويجئ تارة كبرهان، وتارة بقسم، وتارة باستثناء وغيرها)[1].

ويقصد بالضرب الأول التوكيد اللفظي والمعنوي ، ويقصد بالضرب الثـــاني ، أساليب التوكيد الأخرى التي ذكرناها كالقسم والاستثناء....الخ.

---

[1] ابن الزملكاني -التبيان في علوم البيان المطلع على إعجاز القرآن- تحقيق د.أحمـــد مطلـوب. د.خديجـة الحديثي مطبعة العاني- بغداد ج ٣ ص١١٠.

الفصـــل الأول

توكيـــد الجملة الاسميـــة

ويشتمل علىمبحثين:

المبحث الأول: أســـلوب التقديم

- دلالة الجملة الاسمية على التوكيد.
- تقديم المسند إليه.
- تقديم المسند.
- تقديم متعلقات الفعل عليه.
- الاشتغال.

المبحث الثاني: التوكيد بالحروف

- إنَّ، أنَّ ولكنَّ.
- اللام، اللام وإنَّ.
- لا النافية للجنس.
- أمّا.
- الباء ومن "الزائدتان".
- إن وأن الخفيفتان الزائدتان.

المبحث الأول: أسلوب التقديم

(أ) دلالة الجلة الاسمية على التوكيد

عرف العلماء الجملة الاسمية بأنها التي يكون الجزء الأول منها اسم وتعد مـــن أساليب التوكيد، حيث إنها تقرر المعنى وتثبته في النفس، ويتأتى ذلك لكونها تقيد بأصل وضعها بثبوت شئ لشئ، طالما كان خبرها مفرداً، أو جملة اسمية، فإن جاء خبرها جملة فعلية، أفاد التجدد والاستمرار مع التوكيد.

تأمل قوله تعالى: ﴿الذين يَخشَونَ رَبَّهم بالغيبِ وهُم مِنَ السَّاعةِ مُشفقونَ﴾ [1] فترى فيهما الفعل (يخشون) والاسم (مشفقون) قد وقعا خبرين، وقد عدل عن الفعل إلى الاسم.

يقـــول الدرويش: (وإنما يعدل عن أحد الخطابين وإن كان السياق يقتضيه بضرب من التأكيد والمبالغة)[2].

وقال أبو حيان : (وتكون الصلة الأولى مشعرة بالتجدد دائماً كأنها حالتهم فيما يتعلق بالدنيا والصلة الثانية لمبتدأ أو خبر عنه بالاسم الشعر بثبوت الوصف كأنها حالتهم فيما يتعلق بالآخرة)[3].

ومثله قوله تعالى : ﴿وَقَالوا أَجِئتَنا بالحقِّ أم أنتَ مِنَ اللاَّعبينَ﴾ [4] فأراد المشركون بالتجدد في أول الآية "أجئتنا"، أن التوحيد أمر محدث مخترع،وبالثبات في آخر الآية "اللاعبين"، أن الرسول المبعوث إليهم على حالته القديمة من اللهو واللعب، فما أضلهم وأقبح ضلالهم[5].

وقـــد أورد العلوي في طرازه[6] أنّ توجيه الخطاب بالجملة الاسمية يحمل معنيين:

---

[1] سورة الأنبياء الآية ٤٩

[2] محي الدين الدرويش- إعراب القرآن وبيانه-اليمامة للطبع والنشر والتوزيع- دار ابن رشاد للشئون الجامعية دمشق بيروت ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ل ٦ ص ٣٢٧

[3] أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (٦٥٤-٧٥٤) تفسير البحر المحيط وبهامشه ١/ تفسير النهر السار من البحر المحيط لأبي حيان نفسه. (٢)الدرر اللقيط من البحر المحيط للإمام تاج الدين الحنفي النحوي تلميذ أبي حيان. دار الفكر للطباعة النشر الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ل ٦ ص ٣١٥

[4] سورة الأنبياء الآية ٥٥

[5] الدرويش إعراب القرآن وبيانه- ل ٦ ص ٣٢٨

[6] العلوي السيد الإمام إمام الأئمة الكرام أمير المؤمنين يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني-كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ل ٢ ص٢٥

الأول منهما في نحو قولنا: أنا قد فعلت، فيخص الفاعل بذلك الفعل على جهة الاختصاص دون غيره، ويذكر على جهة الاستبداد، كأن تقول: أنا ضربت فلاناً وأنا الذي أنقذته من الهلاك. وكقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (١).

فصدور الجملة بالضمير دلالة على اختصاص الله سبحانه وتعالى بالإضحاك، والإبكاء، والإماتة والإحياء، قال العلوي: (وإنّما أورد الضمير وصيّر الجملة اسمية تكذيباً وردّاً وإنكاراً لمن زعم أنّه مشارك لله سبحانه وتعالى في هذه الخصال)(٢)، والعلوي بقوله هذا يشير إلى أن ما يحتمل ظن المشاركة، يصدر بالجملة الاسمية، وما لا يحتمل الظن فيها بالمشاركة، فترد بالجملة الفعلية، وضرب مثلاً لذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾، يقول (...فأورد الضمير في الأولى للدلالة على الاختصاص فيما ذكرناه دون الثانية، لأنها لا مطمع فيها بالمشاركة، بخلاف الأولى فإنه ربما يُظن أو يُتوهم فيها المشاركة، فلا جرم أن ورد الضمير مصدراً فيه بالجملة دلالة على اختصاصه..)(٣).

أما المعنى الثاني، فهو قصد التحقيق والتوكيد، وتوكيد ذلك في أذن السامع ،فلا يعتريه شك و لا ريب ، ففي قولك: هو يحب الخير،وهو يجود بالذي عنده. أنت لاتريد أن تخص الممدوح بهذه الصفة دون غيره، وإنما القصد، توكيد حبه للخير،وجوده بما يملك. وعلى هذا ورد قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾(٤).

يقول الزمخشري: (فإن قلت قوله:"ولا مولود هو جازٍ عن والده شيئاً" وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه ، قلت الأمر كذلك لان الجملة الاسمية آكد من الفعلية ،وقد انضم إلى ذلك قوله (هو)وقوله (مولود)،السبب في مجيئه على هذا السنن أن الخطاب للمؤمنين وعليتهم، قبض آباؤهم على الكفر وعلى الدين

---

(١) سورة النجم الآيات٤٣-٤٤-٤٥.

(٢) العلوي الطراز ل ٢ ص ٢٦.

(٣) المرجع نفسه ص ٢٦.

(٤) سورة لقمان الآية ٣٣.

الجاهلي فأريد حسم أطماعهم وأطماع الناس فيهم أن ينفعوا آباءهم في الآخرة وأن يشفعوا لهم وأن يغنوا عنهم من الله شيئا فلذلك جيء به على الطريق الآكد)[1].

وجاء بهامش كشافه: (وهذا الجواب تتوقف صحته على أن هذا الخطاب كان خاصاً بالموجودين حينئذ، والصحيح أنه عام لهم ولكل من ينطلق عليه اسم الناس فالجواب المعتبر، – والله أعلم – أن الله تعالى لما أكد الوصية على الآباء وقرن شكرهم بوجوب شكره عزّ وجلّ، أوجب على الولد أن يكفي والده ما يسوءه بحسب نهاية أحكامه،قطع هاهنا هم الوالد في أن يكون الولد في القيامة مجزيه بحقه عليه ويكفيه ما يلقاه من أهوال القيامة كما أوجب الله عليه في الدنيا ذلك في حقه فلما كان إجزاء الولد عن الوالد مظنون الوقوع لأن الله حضّه عليه في الدنيا كان جديراً بتأكيد النفي لإزالة الوهم..)[2].

ومثله قوله تعالى : ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَالَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ * أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[3].

فلما تحدثوا عن أنفسهم ، أورد الجملة الاسمية المؤكدة (بأنّ) والضمير في (إنّا له لناصحون) و(إنّا له لحافظون)، وما كان من غيرهم فأخبرعنه بالجملة الفعلية، في (مالك لا تأمنّا) و(أرسله معنا غداً يرتع ويلعب).

وتأمل كذلك قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[4]. وقوله :﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[5]. وقوله : ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا

---

[1] الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي(٤٦٧_٥٣٨هـ)_الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوة التأويل .ويليه الكافي الشافي فى تخريج أحاديث الكشاف للأمام الحافظ احمد بن حجر العسقلانى (٨٥٢)وبذيله:١/ الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال للأمام ناصر الدين احمد بن الخير الإسكندري المالكي. ٢/حاشية الأستاذ الفاضل محمد عليان المر زوقي الشافعي. ٣/ مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف دار المعرفة بيروت_لبنان ج ٣ ص ٢١٧.

[2] المرجع السابق ص ٢١٧.

[3] سورة يوسف الآيتان ١١-١٢

[4] سورة الفرقان الآية ٥

[5] سورة فاطر الآية ٣٣

يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [1]. وما ورد من ذلك العدول من الجملة الفعلية إلى الاسمية لثبات المعنى وترسيخ الأحداث والعقائد، والوعود في الربع الثالث من كتاب الله الكريم الشيء الكثير مما لا يحصى.

(ب) دلالة التقديم على التأكيد:

وقد اقترن التصدير بالجملة الاسمية، بتقديم المسند أو المسند إليه أو متعلقات الفعل على الآخر ،ليكون الصدر للاسم فيها، وهو ما يعرف عند علماء البلاغة بالتقديم.

وقد اختلف العلماء في تعريفه، فقال علماء البيان هو من المجاز[2] لأن فيه تقديم ما رتبته التأخير كالمنقول، وتأخير ما رتبته التقديم كالفاعل. ورد عليهم بأن التقديم ليس من المجاز في شئ، إذ أن المجاز عبارة عن نقل مما وضع له إلى مالم يوضع له[3].

والتقديم يأتي دائماً لأسرار ولطائف تخدم المعنى المقصود، يقول الجرجاني: (هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية،لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلي لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك، ولطف عندك أن قدم فيه شئ، وحول اللفظ من مكان إلى مكان)[4].

فالتقديم هو أن يتقدم لفظ على آخر حقه التصدير لغرض يفيد في المعنى، والتوكيد هو غرضه، وفائدته العظمى، ومع أن أكثر أغراضه شيوعاً، هو القصر والاختصاص إلا أن علماء البلاغة أنفسهم نصوا على أن إفادة القصر والاختصاص هي التوكيد، والتقديم مع هذا يفيد العناية والاهتمام فهم (يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم)[5]، وباب التقديم، باب واسع فيه تتبارى الأساليب، وتظهر المواهب والقدرات والجملة تتكون من المسند والمسند إليه والفضلة،

---

[1] سورة القصص الآية ٣٤ .

[2] ابن القيم إمام الجوزية الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ص ١٢٠

[3] المرجع نفسه ص ١٢٠.

[4] الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد النحوي المتوفي سنة ٤٧١-٤٧٤ - دلائل الإعجاز-مطبعة المدن-القاهرة ص١٠٦

[5] سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر _ الكتاب. تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون. الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٧٧ ج١ ص ٣٤

كما نعلم، وسوف نتعرض في مبحثنا هذا إن شاء الله إلى تقديم كل منهم، أي تقديم المسند إليه وتقديم المسند ثم تقديم المعمولات ومنها الاشتغال.

تقديم المسند إليه:

والمسند إليه أو المحكوم، إن كان مبتدأ فرتبته أصلاً التقديم. نحو الحق واضح. أما إن كان فاعلاً فرتبته التأخير، لذلك اهتم علماء البلاغة بتقديمه على الخبر الفعلي إيجابا وسلباً، نحو : هو يحب الخير وهو لا يحب الشر، فيفيد التوكيد، ويفيد التخصيص ، وهو ما تحدثنا عنه في مطلع هذا البحث من جمل التصدير بالجملة الاسمية على معنيين.

يقول الزملكاني:(اعلم أنك إذا ذكرت اسماً أولاً ثم أردت أن تتحدث عنه بفعل فقلت: زيد قد فعل ، وأنا قد فعلت، وأنت فعلت، كان المعنى متردداً بين احتمالين، ويرشد إلى تعيين أحدهما سياق الكلام، أو قرينة حال. أحدهما أن يكون غرضك أن المذكور هو الفاعل لهذا الفعل دون كل أحد، كما إن قلت: أنا كتبت في معنى فلان. كان غرضك إظهار الاستبداد، بل تزيل عن السامع شبهة أن يكون ذلك قد صدر من غيرك...

الاحتمال الثاني، أن يكون غرضك ليس إظهار الاستبداد، بل أن تحقق عند السامع أنه فعل ظناً منك، أو توهماً،شكه في ذلك كقولك: هو يعطي الجزيل. ليس مرادك أنه لا يعطي الجزيل غيره ولا أن تعرض بالشأن وأن تجعله لا يعطي كما يعطي لكن مقصودك أن تحقق عند السامع أن إعطاء الجميل دأبه وأن تمكن ذلك من نفسه)[1].

تأمل قوله تعالى : ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دونِهِ آلِهَةً لا يَخلُقونَ شيئاً وهم يُخلَقُونَ﴾ [2]. فليس المراد أن شيئاً سواهم لا يخلق وإنما المراد تحقيق أنهم أنفسهم يخلقون. وكذلك قوله تعالى: ﴿الذينَ ضَلَّ سَعيُهُم في الحَياةِ الدُّنيا وهم يَحسَبُونَ أَنَّهُم يُحسِنونَ صُنعاً﴾ [3]. وقوله: ﴿وَهُم يَصطَرِخُونَ فيها رَبَّنا أَخرِجنا نَعمَل صالِحاً غَيرَ الذي كُنّا نَعمَلُ أَوَلَم نُعَمِّركُم ما يَتَذَكَّرُ فيهِ مَن تَذَكَّرَ وجاءَكُمُ النَّذيرُ فَذوقوا فَما لِلظّالِمينَ مِن نَصيرٍ﴾ [4].

---

[1] الزملكاني التبيان في علوم البيان ص ٩٤.

[2] سورة الفرقان الآية ٣.

[3] سورة الكهف الآية ١٠٤.

[4] سورة فاطر الآية ٣٧.

وأيضاً قوله : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ [1] .

قال ابن عاشور: (قصد باسم الإشارة زيادة تمييزهم فضحاً لسوء حالهم... والضمائر في قوله "لهم" وقوله "هم" عائدة إلى الذين لا يؤمنون بالآخرة لمراعاة ذلك العنوان الذي أفادته الصلة فمن تنقشع عنه الضلالة ويتوب إلى الإيمان يبرأ من هذا الحكم وصيغ الخبر عنهم بالخسران في صيغة الجملة الاسمية، وقرن بضمير الفصل للدلالة على ثبات مضمون الجملة، وعلى انحصار مضمونها فيهم، وجاء المسند اسم تفضيل للدلالة على أنهم أوحدون في الخسران لا يشبه خسران غيرهم، لأن الخسران في الآخرة متفاوت المقدار والمدة.)[2] وأكثر ما يجئ هذا النوع من التقديم المقتضي توكيد الخبر في مجال الوعد، والضمان والإنكار وما اعترض فيه الشك وما ورد في الربع الثالث من القرآن الكريم لا يكاد يخرج عن هذه المجالات ولا تكاد تخلو آية منه.

هذا إن كان الخبر الفعلي مثبتاً أمّا إن كان منفياً، فيقول الجرجاني: (أمّا في النفي فإن قلت: ما فعلتُ، فأنت نفيت فعلاً عنك لم يثبت وقوعه، أمّا في: ما أنا فعلت، فأنت نفيت عن نفسك القيام بهذا الفعل الواقع)[3]. ومن ذلك قول المتنبئ :

وما أنا أسقمتُ جسمي بِهِ ولا أنّا أضرَمتُ في القَلبِ نارا [4]

فالمعنى أن هذا السقم والمرض الواقع على جسد الشاعر، وأنّ هذه النار المشتعلة في قلبه، لم يفعلها هو بنفسه بل فعلها غيره به.

ففي تقديم النفي على المسند إليه معنى نفي الفعل الواقع أصلاً عن المسند إليه،أمّا تقديم المسند إليه على النفي ففيه معنى نفي وقوع الفعل، وهذا ما يشير إليه الجرجاني ويفيد تقديم النفي على المسند إليه الإختصاص كما يفيد التوكيد، تأمل قوله تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ،بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [5]، يقول أبو موسى:

---

[1] سورة النمل الآية ٥.

[2] ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير ج ٨ ص ٢٢٢.

[3] الجرجاني دلائل الإعجاز ص ١٢٤

[4] ديوان أبي الطيب المتنبئ بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا_إبراهيم الأبياري عبد الحفيظ شلبي دار المعرفة بيروت_لبنان ج ٣ ص ٩٥

[5] سورة الأنبياء الآيتان ٣٩-٤٠

(التقديم في قوله"ولاهم ينصرون" يفيد أن عدم النصرة في هذا اليوم مقصور عليهم بخلاف العصاة من الذين آمنوا، فقد ينصرهم الله برحمته، أما قوله :"ولا هم ينظرون" فلا وجه للاختصاص فيه لأن الساعة حين تأتي لا تمهل أحداً فليسوا وحدهم المختصين بعدم الإنظار أي الإمهال)[1]. فيدل كلامه على أن تقديم النفي على المسند إليه من توكيد وتخصيص يحددهما مدلول السياق.

تأمل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [2] وقوله : ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [3].

ففي الآية الأولى توكيد عدم إيمان المشركين واستمرارهم في ذلك الكفر، بينما الآية الثانية فيها تخصيص عدم إيمان أكثرهم. ويقول ابن عاشور: (ومعنى (وهم لا يؤمنون) استمرار عدم إيمانهم إلى حلول قضاء الأمر يوم الحسرة فاختيار صيغة المضارع فيه دون صيغة اسم الفاعل لما يدل عليه المضارع من استمرار الفعل وقتاً فوقتاً استحضاراً بذلك الاستمرار العجيب في طوله وتمكنه)[4].

وقد أورد د.محمد أبو موسى في دلالاته[5]، تفريقاً بين أن يتقدم النفي على المسند إليه وبين أن يتقدم المسند إليه على النفي، مفاده أن كليهما يفيد التوكيد إلاّ أن النفي المتقدم على المسند إليه أشد قوة في التوكيد من الآخر ، مثلاً يقول الله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [6].

ويقول : ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ [7].

ففي الآية الأولى نفي للرؤية والإبصار عن هؤلاء الكفرة الذين أرادوا برسول الله ﷺ الشر، وفي ذات الوقت ليس فيها ما يدل على رؤية آخرين أو عدم رؤيتهم، فهي تأكيد محض لنفي الإبصار عنهم، وتغطية أعينهم عن رؤية الرسول ﷺ فحماه الله تعالى

---

(1) محمد أبو موسى دلالات التراكيب ص ١٨٦

(2) سورة مريم الآية ٣٩

(3) سورة يس الآية ٧

(4) ابن عاشور- تفسير التحرير والتنوير ج ٨ ص ١٠٩

(5) د.محمد أبو موسى -دلالات التراكيب ص ١٧٨-١٨٧

(6) سورة يس الآية ٩

(7) سورة يس الآية ٤٣

بتلك الغشاوة عن كيدهم. أما في الآية الثانية فنفى للإغاثة والنجاة من الغرق لهؤلاء الذرية من قوم نوح عليه السلام ، ولكن مع ذلك هنالك إغاثة ونجدة لغير هؤلاء المهلكين، ويؤيد ذلك ما ورد في الآية التي بعدها ﴿إلا رحمةً منا..﴾ فنفى النجدة ليس عاماً بل هو مثبتٌ للبعض منفيٌّ عن الآخرين. والله أعلم، وتأمل قوله تعالى : ﴿قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون﴾ [1]. بل ينظر غيرهم وهم المؤمنون.

وقوله : ﴿فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون﴾ [2]

وقوله : ﴿ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجلٌ مسمًّى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتةً وهم لا يشعرون﴾ [3].

وقوله : ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ [4] ...

وما ورد من تقديم المسند إليه في كتاب الله الكريم وفي الربع الثالث منه من آيات الشيء الكثير مما يجد له القارىء من الحلاوة والطلاوة والسحر ، والبيان ، وكلما أمعن النظر في تأملها كلما ازداد معنى أعمق ، وأقوى ، وأبلغ...

تقديم المسند :

والمسند إن وقع فعلاً تاماً أو مبنياً للمجهول فحقه التقديم أصالة، وإن جاء خبراً وما أصله الخبر فحقه التأخير كما هو معلوم، ويكون تقديمه هنا على المسند إليه، لذات أغراض تقديم المسند إليه من اهتمام، و عناية ، وتوكيد، وتخصيص.

ففي قوله تعالى : ﴿أراغبٌ أنت عن آلهتي يا إبراهيم﴾ [5]. تقدم الخبر "أراغب" على المبتدأ "أنت "، يقول الزمخشري : (وقدم الخبر على المبتدأ في قوله (أراغب أنت عن آلهتي) لأنه كان أهم عنده وهو عنده أعنى وفيه ضرب من التعجب والإنكار ، لرغبته عن آلهتهم وأن آلهتهم ماينبغي أن يرغب عنها أحد)[6] . وخالفه في الرأي

---

[1] سورة السجدة الآية ٢٩

[2] سورة الروم الآية ٥٧

[3] سورة العنكبوت الآية ٥٣

[4] سورة العنكبوت الآية ٢

[5] سورة مريم الآية ٤٦

[6] الزمخشري –الكشاف ج ٢ ص ٤١٣